

مهرة الى

بلد الحريات الزائفة

تساؤل...

« راح طفل زنجي يستصرخ امه ، أكلت الفيلان البيض أباه ... »

لما اقتربت منه لأمس بدلته الزرقاء ،
لأن قلبي هف لها ، لأن تكون لي مثلاً :
حذار أن تفعل ، اليك عني أيها العبد القبيح ،
حذار أن تدنسي ! وبصق في وجهي !
أحقاً أني قبيح يا أماء ؟
هيا قولي لي .. قولي
وعندما قلت له : هل آذيتك يا أخي ؟
ماذا يعضبك مني يا أخي ؟
بربك ماذا ؟
إني انساني المولد !
أأست مثلك ؟
أأست افضل من كلبك الأسود ؟
الكلب الذي تحتضنه امك ؟
فاذا به يهيج و كالبعول يرفسني ويلطمني !
أماء ، أكانت كلماتي قاسية معه ؟
إذن لماذا اعتبر كلامي إهانة له ؟
أماء ، وعندما مر أبي ،
ورآني أعرج وأبكي ارتعش غضباً ،
لأنه ما كاد يشرع بتعنيف الصبي ، ترومان
الغضبان مني ، حتى احتاطته البهائم البيض ،
فلم أعثر من بينهم على أبي
و كأنه كان ليلاً أطبق عليه نهاران ؟
* *
وهنا رفعت الأم الصامته وليدها
الى صدرها تخنقها النشيج العظيم !
ومن خلل الدموع أطلت عيناها
الكسيران إلى إله البيض ،
الحارب من وحشية البيض إلى السماء !
فالح العسكري بغداد

امام ، لماذا ولدني هذا اللون المهين ؟
بهذا اللون الزفتي اللعين ؟
اللون الذي ترصف منه شوارع المدينة ؟
لقد هشت قارورة احلامي البيضاء يا أماء !
لماذا ابتلعت حبة سوداء يا أماء ! ؟
هل الطبيب أشار عليك بابتلاعها ؟
هذا الخلق الذي لا وجود له في عالمي ،
إلا في القاموس ، كما قلت لي ..
لكن يقال انه يعالج المرضى البيض ..
لماذا ، يا أماء ، حين فار جسمي بالسخونة ،
بالأمس لم يزري ؟ هيا قولي لي لماذا ؟
حتى ولم استطع ان احلم به ..
أكان يا أماء ، يخاف ظلمة وجهي ؟
أتحشى على نفسه ان يعلق به لوني ؟
ولا أحد بعد بوسعه ان يقرأ
اسمه في القاموس ، إذ يمر به ..
فيموت ويندثر كلفظة قديمة !
أليس كان بقدرورك يا أماء ،
بعد الذي فعلت ، ان تصبغي
بشرتي بدهان ابيض كحليب عزتي ؟
حتى لا تسخر مني هذه البهائم البيض !
أماء ، أماء ، هل ولدني في سرداب مظلم ؟
فامتصت بشرتي الظلمة القاتمة الملعونة ؟
هل خفت علي من النور لئلا يلامس جلدي !
فيصطبغ بكساء ثلجي تصنع منه اردية الموت
تلك الأكفان الخيفة المقرقة البيض
أتروعك حقاً إلى هذا الحد ؟
أماء ، إن الصبي ترومان قال لي ،

— من واحدة لا تعرفها ، اما انا
فمعرفتي بها قديمة ، كانت فتاة صغيرة ،
و كنت احبها ، ولما شئت ان اتزوجها
أبى علي أبوها ذلك وأعطاه لابن اخيه ،
وكان رفضه صدمة لم احتملها فهتت على
وجهي كالصعاليك . شعرت بانني رجل
لا صلة له بالناس او الحياة فعتشت كما
عرفتني .

وسكت مبروك قليلاً وبلل شفتيه
بلسانه وقال :

وخلتني نسيته ومات حبها في قلبي
إلى ان رأيتها قبل شهر من الزمن بعد
ان عرفت ان زوجها قد مات وترك لها
طفلة ، وشعرت يا حسن بانني لا زلت
احبها ذلك الحب الذي لم يعيش سواه في
نفسي ، فما رفعت قدمي من العتبة قبل ان
اعرض عليها الزواج ..

وقبلت بالطبع إذ انها ستجسد في
حماتي ما يعصمها عن التشرد ، ولا بد
لي من عمل الآن .. سأكون صاحب
عيال .

هذه هي الحكاية يا صاحبي .. مالك
ألا تقص لي لحيتي ؟ كيف اعمل بها ؟
قلت وانا بين مكذب عيني واذني
ومصدقها : غريب . ولم أزد بل حملت
الموسى وراحت لحية الشيخ مبروك
تتناثر امامي على الأرض سوداء كرش
الغراب ، وشعرت وانا ازيل عنه لحيته
بانني امسح عنه الاسطورة .. اسطورة
البركة .

سميرة عزام

مطبعة دار الكتب - بيروت - بناية الغازارية

للطباعة والتجليد المتقن

الغازارية ٩٩٠